

## روسيا وغزة من المسافة صفر

### الكاتب



عبدالله السناوي

مرة بعد أخرى، يطرح السؤال الروسي نفسه تحت وهج النيران في غزة، بحثاً عن شيء من التوازن الدولي المفتقد منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، مطلع تسعينات القرن الماضي، وانفراد الولايات المتحدة بقيادة العالم، والتحكم في مصائره

هناك الآن خشية واسعة من الانجرار المحتمل إلى حرب إقليمية واسعة، تشمل إيران، ودولاً أخرى، تتداخل معها المصالح الاستراتيجية الروسية

ما طبيعة وحدود الدور الروسي إذا ما أفلتت كتل النيران من مكانها؟

روسيا ليست الاتحاد السوفييتي. هذه حقيقة يستحيل إغفالها قبل إصدار الأحكام، والتحليق في فراغ التصورات.. لكنها لاعب جوهري لا يمكن تجاهله في العلاقات الدولية

قوة كبرى، لكنها ليست عظمى. وفي أوضاعها الحالية من اقتصاد مستنزف بأثر العقوبات المفروضة عليها، وتراجع قدراتها على الإسناد الاستراتيجي، فإنه من غير الممكن التعويل عليها في ردع الدور الأمريكي

حاولت السياسة الروسية، منذ اندلاع الحرب، أن تجد لنفسها دوراً مؤثراً بقدر ما تطيقه أحوالها، مدفوعة بمصالحها الاستراتيجية في أكثر أقاليم العالم أهمية، وخطورة، وتأثيراً في مستقبلها المنظور

دانت العدوان على غزة، دبلوماسياً وسياسياً، في المنتديات الأممية، من دون أن تدخل طرفاً مباشراً في الأزمة المشتعلة بالنيران والمخاوف

وإذا ما نشبت حرباً إقليمية واسعة يصعب أن يظل الدور الروسي في حدوده الحالية مكتفياً بإدانة العدوان على غزة، أو

استخدام حق النقض في مجلس الأمن لإجهاض أية مشروعات قرارات أمريكية تعمل على إدانة المقاومة الفلسطينية، أو تمديد العدوان على غزة والتنكيل بأهلها

وفق موسكو، فإن مشروعات القرارات التي دأبت الولايات المتحدة بطرحها، «مسيّسة بشكل مبالغ فيه». ووفق «واشنطن:» «المواقف الروسية غير بناءة في محاولة حل الصراع

كانت تلك حدود المساجلة الاستراتيجية الأمريكية مع موسكو. تركزت الإدانات الروسية على واشنطن أكثر من تل أبيب، على الطرف الداعم للحرب لا الطرف المباشر فيها

إنها حسابات معقدة تحاول أن تتضامن مع غزة من دون أن تلحق أضراراً تترك أية تفاهات سابقة مع إسرائيل بشأن قواعد الاشتباك في سوريا

لم يكن خافياً على أحد المكاسب الاستراتيجية المفاجئة التي جنتها روسيا بأثر اندلاع الحرب على غزة

تراجعت أولوية الحرب الأوكرانية في الخطابين، السياسي والإعلامي، الدوليين، حتى كادت تنسى وسط طوفان المآسي الإنسانية في القطاع المعذب. رافقت حرب غزة بتداعياتها وأجوائها ومساجلاتها أوضاعاً عسكرية مستجدة على الجبهة الأوكرانية. ولم تعد سيناريوهات كسب الحرب وإنزال موسكو واردة

عاد الحديث عن حلول سياسية، أو الذهاب مجدداً إلى التفاوض من دون أن تبدي موسكو حماساً، فالوقت يعمل لمصلحتها وسيناريوهات تقليص تمويل الحرب غير مستبعدة

إذا ما انتهت الحرب على غزة الآن فإن موسكو سوف تتصدر رابحها. الأوزان والأدوار كلها الآن على المحك إذا ما جرى الانجراف إلى حرب إقليمية واسعة. والمصالح الروسية عند المسافة صفر.. في مرمى النيران مباشرة

انخراط روسيا في أي حرب إقليمية مكلف، وأثمانه لا تحتمل، بالنظر إلى ما أصابها من إنهاك سياسي واقتصادي وعسكري في الحرب الأوكرانية

والمثير هنا أن روسيا والولايات المتحدة لا تريدان، وليس من مصلحتهما بأي حساب، توسيع نطاق الحرب في غزة إلى صدامات إقليمية واسعة لا يعرف أحد كيف تنتهي

إنه السؤال الأكثر إلحاحاً من المسافة صفر، وإجابته تتوقف على طبيعة وحجم الرد المنتظر على استهداف القنصلية الإيرانية في دمشق

الرد قادم لا محالة، والأطراف كلها باستثناء الحكومة الإسرائيلية تتمناه محدوداً، رهاناً على أنها تساعد «بنيامين نتنياهو» في بقائه على رأس الحكومة حتى لا يزعج به خلف قضبان السجون بتهمتي الاحتيال والرشى، فضلاً عن مساءلته في تقصيره الفادح يوم السابع من أكتوبر

في السياق يسعى «نتنياهو» إلى اقتحام رفح، لكنه واقع تحت ضغط الإدارة الأمريكية التي لا تكف عن طرح بدائل عليه، خشية أن يفضي ذلك الاجتياح إلى مجازر بشرية تنال من مليون ونصف المليون نازح في تلك المدينة الحدودية الضيقة

من وقت لآخر تتصاعد احتمالات اشتعال الجبهة اللبنانية بكاملها، أو نقل مركز المواجهات إلى الشمال بذريعة الأمن وعودة النازحين الإسرائيليين

جر المنطقة كلها إلى حرب واسعة هو أخطر سيناريوهات التصعيد الإسرائيلي المحتملة. والإيرانيون يؤكدون عزمهم على الرد من داخل أراضيهم، لا عبر حلفائهم. والإسرائيليون يقولون إنهم سوف يردون بالمثل، وفي الداخل الإيراني. والأمريكيون لم يتورعوا عن التهديد بالتدخل المباشر إذا ما تعرضت إسرائيل إلى الخطر

هكذا فإن سيناريو الحرب الإقليمية الواسعة لا يمكن استبعاد الانزلاق إليه. وإذا لم ترد إيران بصورة موجعة، فالمعنى أن هيبته الإقليمية تقوضت

وإذا صممت إسرائيل على ذلك الرد، فالمعنى أن ما تقوض في السابع من أكتوبر في نظرية أمنها، لم يعد ممكناً ترميمه، أو استعادة هيئته

حسب التأكيدات الروسية ف«إن أحداً لم يطلب منا أن نتدخل للتهديئة». كانت تلك إشارة مبطنة إلى إدراكها قدر ما يصيبها من أضرار استراتيجية إذا ما اندفعت كتل النيران إلى المنطقة كلها، واستعدادها في الوقت نفسه للعب أية أدوار تمنع الحرب الإقليمية المحتملة